"الأصولية الإسلامية" في الفكر الغربي المعاصر: دراسة تاريخية

م.د. هاشم عبد الرزاق صالح الطائي*

تاريخ التقديم: 2010/3/16 تاريخ القبول: 2010/5/19

المقدمـــة

يعد موضوع الأصولية الإسلامية من المواضيع البارزة على امتداد الساحة العربية والإسلامية. وقد يكون السبب في هذه الأهمية عوامل فكرية ومادية ولاسيما وإنَّ القوى الإسلامية قد تبدو في الوقت الراهن هي القوى الفاعلة والمؤثرة على أرض الواقع وبالتالي أصبحت مادة مهمة للدراسة والتحليل والجدل.

أطلقت الدراسات الغربية مصطلحات ومفاهيم عديدة خلال استعراضها لتنامي الظاهرة الإسلامية التي اكتسحت مساحات شاسعة من الخارطة العالمية منذ سبعينات القرن العشرين، ومن تلك المفاهيم والمصطلحات: "الإسلام السياسي" و "الإسلام الراديكالي" و "العنف الإسلامي" و "الإسلام المسلح". ثم برز أكثر هذه المصطلحات خبثاً وتشويهاً لصورة الصحوة الإسلامية، وهو مصطلح "الأصولية الإسلامية".

استناداً إلى ذلك شكلت (الأصولية الإسلامية) عنواناً عريضاً لدراسات معمقة تخصص بها كتّاب غربيون سلطوا الضوء خلالها على تنامي ظاهرة الصحوة الإسلامية بناءً على ما ينسجم ومنطلقاتهم الفكرية ونزعاتهم الإيديولوجية. ويمكن القول إنَّ أغلب ما كُتب ويكتب في الغرب عن الإسلام والإسلاميين لم ينطلق من دائرة البحث العلمي بل هو مخطط توجهه الحكومات والشركات والمؤسسات الغربية تبعاً لمصالحها. ويعترف نورمان دانييل، أحد الأكاديميين الغربيين بهذه الحقيقة بقوله: "... رغم المحاولات المخلصة التي بذلها الباحثون في

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية لكتّاب مسيحيين من الإسلام فإنهم لم يتجردوا كلياً عنها كما يتوهمون".

لذلك حاولت هذه الدراسة رصد الموقف الغربي مما يسمى بـ(الأصولية الإسلامية) فجاء المحور الأول ليرصد أبرز المحطات التاريخية في العلاقة بين الإسلام والغرب. أما المحور الثاني فقد حاول توصيف مفهوم الأصولية وجذوره في التاريخ المسيحي والإسلامي. وكذلك أبرز دوافع ظهور (الأصولية الإسلامية). في حين ركز المحور الثالث على موقف الغرب من الأصولية الإسلامية الذي انقسم إلى اتجاهين رئيسين، اتجاه متحامل على الأصولية الإسلامية ويسعى إلى تصنيفها في موقع العدو ومصدر الخطر. واتجاه تبنى دعوات ناضجة لصياغة سياسة غربية متفهمة لأسباب ودوافع ظهور الأصولية الإسلامية. وإمكانية الوصول إلى توافق بين الغرب والعالم الإسلامي.

أولاً: العلاقة بين الإسلام والغرب. رؤية تاريخية:

تعد العلاقة بين الإسلام والغرب من أخطر وأصعب القضايا التي تواجه العالم منذ قرون، وهذه العلاقة بدأت مع الأيام الأولى لظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي،واستمرت حتى يومنا هذا. فالعالم الإسلامي، كبقية الحضارات الإنسانية التي عرفها تاريخ البشرية، وجد نفسه في ذروة تألقه، كمركز للحقيقة والتنوير، محاطاً بمجتمعات همجية ملحدة، تحتم عليه مبادئه وواجباته الدينية أن يدعو تلك المجتمعات إلى حظيرة الإسلام[1]. في المقابل نظر الغرب إلى المسلمين نظرة استعلاء واستكبار وعدوهم مجرد قبائل بدائية متخلفة. مما زاد الخلاف والعداء بينهما. وقد أوضح المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) هذه الحقيقة بقوله: "... لقد صور الأوربيون التحول الذي أحدثه ظهور الإسلام في الشرق باعتباره تحولاً حدث في القوى وفي الأقسام البعيدة من الشرق عندما قام

(1) برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، تعريب نبيل صبحي (د.م، 1965)، ص ص37-38.

شعب هائج (العرب المسلمون) عُرف بالسلب والنهب وهو علاوة على ذلك شعب غير مسيحي، فاجتاح وخرَب أراضي واسعة وانتزعها من قبضة المسيحية"[1].

ويرى بعض المؤرخين للعلاقات بين الإسلام والغرب أنَّه ما بين القرن السابع الميلادي والقرن الحادي والعشرين وقعت عدة جولات كبرى بين المسلمين والغرب. كانت بين الكر والفر. فخلال مئة عام من وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أسس المسلمون إمبراطورية أعظم من روما في أوجها. فكانت الصدمة هائلة للنظام الدولي وللمسيحية بشكل خاص. فلم يخطر ببال أحد أنَّه يمكن لقبائل الجزيرة العربية أنْ تتحد وتنتشر خارج نطاق الجزيرة، وتتغلب على الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، وتفتح الجيوش الإسلامية سوريا والعراق ومصر. ثم تكتسح أوربا الجنوبية[2].

ويعد عام 710م بداية الوصول الإسلامي إلى أوربا. حيث تمكن المسلمون بعد هذا التاريخ بثماني سنوات من فرض سيطرتهم على معظم أجزاء الجزيرة الاسبانية(الايبرية). ووصلوا إلى فرنسا عبر جبال البرانس. إلا أنَّ الزحف الإسلامي نحو أوربا توقف بعد معركة (بلاط الشهداء) الشهيرة عام 732م/114هـ[3].

وتمثلت الجولات الأخرى بالحروب الصليبية التي جسدت تجربة تاريخية مريرة في العلاقات بين الغرب والمسلمين. ثم تحرير القدس على يد صلاح الدين

(1) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء، وأنصاف العلماء، دار الشروق (القاهرة، 2005)، ص63–64.

(2) للتفاصيل عن الفتوحات الإسلامية ينظر: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية (بيروت، 1978)؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1967).

(3) ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1988)؛ يوسف إبراهيم الجهماني، الإسلام والغرب، العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً، دار حوران للطباعة والنشر (دمشق، 2003)، ص13–16.

الأيوبي. وسقوط القسطنطينية بأيدي المسلمين عام 1453م، والذي ترك أثراً سلبياً في الحس الأوربي المسيحي ثم القضاء على الخلافة العثمانية عام 1924م. وأخيراً أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001م.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين بدأت مرحلة جديدة في التصور الغربي للإسلام. من خلال المنهج الذي اتبعه الغرب لدراسة الشرق والذي سمي بـ(الاستشراق)(*). نُقلت من خلاله صور عن المسلمين بأنهم همجيون ومتأخرون. وأيضاً هاجموا الإسلام واتهموه بالجمود والتخلف. كما فعل المستشرق الفرنسي رينان (ت 1892م) عندما ألقى محاضرة في جامعة السوربون قال فيها: "إن الإسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر. بل هو عائق لهما بما فيه من اعتقاد بالغيبيات وخوارق وعادات. والإيمان التام بالقضاء والقدر"(1). فكان الاستشراق بداية السيطرة العسكرية والغزو الثقافي الغربي للعالم الإسلامي.

بدأت جولة أخرى بين الغرب والعالم الإسلامي بعد التهديد الغربي للأمة الإسلامية سواء عن طريق روسيا التي شرعت في حروبها التوسعية في أواسط أسيا أو عن طريق بريطانيا التي غزت أساطيلها العالم العربي والإسلامي من المحيط الهندي وشبه القارة الهندية، أو عن طريق فرنسا التي غزت مصر عام 1798م. ثم احتلت الجزائر عام 1830 وتونس عام 1881. ثم المغرب عام 1912. وصولاً إلى مرحلة الحرب العالمية الأولى (1914–1918) التي جسّدت التوجه الاستعماري للغرب بشكل واضح. وأفرزت نتائج خطيرة كان أبرزها تقسيم العالم العربي إلى مناطق نفوذ تابعة للدول المنتصرة في الحرب تنفيذاً لما عرف (باتفاقية سايكس بيكو)(2)، مندفعين بالنظرة العنصرية والنزعة المركزية الأوربية

(*) للتفاصيل عن دوافع الاستشراق وأهدافه ينظر: مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دار السلام (القاهرة، 1998).

(1) علي نوح، العرب في صحوة إسلامية أم انتكاسة مجتمعية، مجلة المستقبل العربي، السنة (16)، العدد (177)، تشرين الثاني 1993، ص 129.

(2) سمعان بطرس، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ط2، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1980)، ص 172.

التي تمجد (الغرب) وتحط من شأن (الشرق) بهدف تعبئة الرأي العام الأوربي وتهيئته لما أسموه "ممارسة دوره الحضاري لتمدين شعوب الشرق". لذا نرى (فوريه) مساعد نابليون في الحملة على مصر يُشير إلى أنَّ إنشاء معهد مصر هدفه "إنقاذ مصر من بربريتها وإعادتها إلى عظمتها الكلاسيكية.. وتلقين الشرق طرائق الغرب الحديث". وفي نفس السياق يصف (كليرمون توتيز) أحد أقطاب الفكر الفرنسي، استعمار الجزائر بأنه "عمل عظيم أنعمت به العناية على فرنسا لتمدين العرب وجعلهم مسيحيين"[1]. وبما أنَّ الإسلام يمتلك موروثاً دينياً كبيراً وغنياً من الإصلاح والتجديد الإسلاميين سبق أنْ برز خلال عهود الضعف والانحطاط التي لحقت بالعالم الإسلامي عبر عصوره المختلفة فقد كانت أول ردة فعل لهذا التحدي والغزو الاستعماري الغربي إسلامية الطابع، فبرزت آنذاك تنظيمات إسلامية استشعرت قدراتها على الاستجابة للتحديات التي توجهها الأمة الإسلامية وهذا ما أكده الكاتب الأمريكي (برنارد لويس) بقوله: ".. منذ بدء التغلغل الغربي في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا كانت أهم الحركات الفكرية المتميزة المهمة الأصلية التي قامت في وجههم، حركات إسلامية"[2].

ثانياً: مفهوم الأصولية وتأصيلها التاريخي:

يؤكد معظم الباحثين في الشؤون الإسلامية أن الأصولية Fundamentalism الذي شاع مضمونه في أوساطنا الإعلامية والثقافية والسياسية المعاصرة، هو مصطلح غربيَّ النشأة والمضمون. أطلقه الكتاب الغربيون على حركة الصحوة الإسلامية في محاولة لتشويه صورتها من خلال ربطها بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية مع كل سلبياتها التي رسخت في أذهان الغربيين.

(1) محمد نجيب بو طالب، العلوم الاجتماعية والاستشراق. صورة المجتمع العربي الإسلامي في: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: 1999)، ص 437.

(2) ينظر: لويس، الغرب والشرق الأوسط، مصدر سابق، ص 148.

1. المفهوم الغربي للأصولية:

يعود مفهوم الأصولية في جذوره إلى مصطلح مسيحي بروتستانتي ترجمته الانكليزية هي Fundamentals وهي لفظة إنجيلية مشتقة من لفظة أخرى هي Foundation بمعنى أساس. وقد أطلق هذا المصطلح على فرقة من البروتستانت تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة في (الكتاب المقدس) ويدعي أفرادها أنهم يتلقون تعليماتهم من الله مباشرةً ، ويعادون العقل والتفكير العلمي ويميلون إلى استخدام القوة والعنف لفرض هذه المعتقدات. [1].

وثمة شبه إجماع بأنَّ الذي أوجد مصطلح (الأصولية) هو رئيس تحرير إحدى المجلات الأمريكية في افتتاحية عدد حزيران 1920. حيث عرّف الأصوليين بأنهم "أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول"[2]. وقد مهدت لظهور هذا المصطلح سلسلة كتيبات صدرت بين عامي 1909–1915 بعنوان الأصول The Fundamentals وصل عددها إلى (12) كتيباً وزعت على القساوسة والمبشرين والمدارس والجمعيات المسيحية وضمت بعض مبادئ الديانة المسيحية وأصولها[3].

2. المفهوم الإسلامي للأصولية:

الأصولية لغة: نسبة من الجمع (أصول) ومفردها (أصل) والأصل في لسان العرب "أسفل كل شيء وجمعه أصول والأصل كذلك القرار أو الجذر أو الدليل أو القاعدة الكلية"[4]. والأصولية عبارة قديمة الاستعمال في اللسان العربي

---

(1) ينظر: ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط2 (المنصورة، 1989)، ص 12.

(2) مراد وهبة، الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، مجلة المنار، العدد (49)، كانون الثاني 1988، ص94.

(3) المصدر نفسه، ص94.

(4) أبو الفضل محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1956)، ج15، مادة أصل.

والثقافة العربية الإسلامية. فكلمة (أصولية) في اللغة العربية تعني شيئاً ايجابياً. ومصطلح (أصوليون) يدل على الأشخاص الذين يتقصدون معرفة الله ورسله والإيمان بهم. وهم علماء أصول الفقه وأهل الاستنباط. والاستدلال والاجتهاد. فغاية الأصوليين الإيمان بواسطة العلم وليس التشريع.وكلمة (أصول) كثيرة الاستعمال في كتابات المفكرين المسلمين القدماء والمحدثين[1].

تستمد الأصولية الإسلامية مشروعية طرحها من القران والسنة. فهي حركة تدعو إلى العودة إلى أصول الدين، أي القران والسنة النبوية، وعدم الالتزام بالتطور التاريخي للفكر الإسلامي وما طرأ عليه من تغييرات. والأصوليون يرون أنَّ مشاكل الأمة الإسلامية لا يمكن حلها إلا بالعودة إلى الينابيع الأصلية للإسلام، ورفض غيرها من المظاهر والأفكار. بهدف إعادة الإسلام بأكمله للسيطرة على جميع أوجه الحياة[2]. وقد أطلقت بعض التنظيمات الإسلامية تسمية (الأصولية الإسلامية) على نفسها لتأثرها بالجو العام ولتوافق هذه التسمية مع أهدافها وأطروحاتها[3]. ويتفق مع هذا أستاذ العلوم السياسية في جامعة نيويورك (ريتشارد دكمجيان)، حيث يجد أنّ "أنسب المصطلحات للظاهرة الإسلامية هو (الأصولية الإسلامية) من حيث إنَّه يشير إلى البحث عن أصول العقيدة وعن أسس الدولة الإسلامية وقواعد نظام الحكم الشرعي"[4].

إذن ثمة اختلاف واسع بين المفهوم الغربي للأصولية والمفهوم الإسلامي لها. ويمكن القول إنَّ الدوائر الاستعمارية والكثير من المراكز البحثية الغربية أرادت أنْ تسقط المفهوم الغربي للأصولية على الظاهرة الإسلامية التي انتشرت في

(1) ينظر: محمد باقر الصدر، موجز في أصول الدين، دار الزهراء، ط3، (بيروت، 1987)، ص5.

(2) حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 2005)، ص38.

(3) كارلسون، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير يوناني، مكتبة الشروق الدولية (القاهرة، 2003)، ص55.

(4) دكمجبان، الأصولية في العالم العربي، المصدر السابق، ص21.

العقود الأخيرة. وهي تسعى من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف من أبرزها تشويه صورة الصحوة الإسلامية والعاملين فيها من خلال التذكير بالتعصب والتطرف الذي اتسمت به الأصولية الغربية واتهام كل من يتحدث عن الإسلام كمشروع بأنه (أصولي). وأيضاً تخويف الغرب،حكومات وشعوباً، وكذلك الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي، من الإسلام والمسلمين الذين يدعون إلى إقامة الحكم الإسلامي. وكذلك الربط بين حركة الصحوة الإسلامية الحديثة وما يسمى بـ "الإرهاب"[1]. لذلك نجد الكتاب الغربيين يصنفون بعض الحركات الإسلامية بأنها أصولية منها: الحركة السلفية (الوهابية)، الإخوان المسلمون، الجماعة الإسلامية في الهند، حزب الله في لبنان، حركة حماس الفلسطينية، الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وغيرها من التنظيمات الإسلامية التي أصبحت في قفص الاتهام من وجهة نظر الغرب إليها.

3. دوافع ظهور الأصولية الإسلامية:

يؤكد معظم المفكرين والمهتمين بالشؤون الإسلامية أن ثمة ظروف ودوافع عديدة ساهمت في تطور وبروز الأصولية الإسلامية الحديثة وتجسيد مفاهيمها، كان أبرزها الغزو الثقافي والتحديات الاستعمارية للغرب. وربما يشكل هذا أساس نمو الأصولية الإسلامية وقوة تحركها. ويأخذ هذا التحدي أشكالاً شتى مثل: التفوق العسكري، والتقنيات العلمية والاقتصادية الغربية، وكذلك المؤامرات الغربية الإمبريالية. والإشكالية التي تحدثها هذه التحديات سرعان ما تتحول إلى مواجهة. لذلك عرفت الأصولية الإسلامية في أوجهها بأنها "شكل من أشكال المواجهة أو الرد الإسلامي على الغزو الثقافي والحضارة المادية الغربية"[2].

(1) أمير عبد العزيز، افتراءات على الإسلام والمسلمين، دار السلام للطباعة (القاهرة، 2002)، ص5.

(2) ينظر: الملف الاستراتيجي، مفاجأة متوقعة، الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001 وتداعياته، مركز القدس للدراسات السياسية، العدد (12) كانون الأول/ ديسمبر 2003، ص ص6-7.

استعان الاستعمار الغربي، لتعزيز سيطرته العسكرية والسياسية على العالم الإسلامي، بغزو ثقافي فكري مكثف بهدف إضعاف الإسلام في نفوس المسلمين وسلخهم عن هويتهم الإسلامية لأنه أدرك أن الإسلام يمثل مصدر القوة لدى الشعوب الإسلامية. وأن الوعي الإسلامي هو الخطر الحقيقي الذي يهدد الوجود الغربي ويتصدى له وقد أشار إلى هذه الحقيقة بوضوح رموز الفكر الاستعماري الغربي وقادته. فوقف رئيس وزراء بريطانيا غلادستون (1868–1874م) في مجلس الوزراء البريطاني، رافعاً القرآن الكريم بيده مخاطباً زملاءه بقوله: "... ما دام هذا الكتاب في أيدي المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به فلن تقوم لنا قائمة فلا بد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم..."[1].

هذه الدعوة لإضعاف المسلمين تكررت على لسان أحد قادة الغرب "البارون كارا دي فو" الذي صرح قائلاً: "أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية... دعونا نخرق الإسلام ونستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية... وذلك كي نضعف الإسلام لنجعله إلى الأبد عاجزاً عن صحوة كبرى"[2].

ومن الدوافع الأخرى إلغاء الخلافة الإسلامية حيث لم تكد الحرب العالمية الأولى تنتهي حتى كانت الدولة العثمانية قد تم تصفيتها وحلت محلها دولة تركيا الحديثة التي ألغت الخلافة الإسلامية عام 1924 واتخذت إجراءات متشددة لتصفية كل أثر للإسلام كنظام للحياة[3]. تنفيذاً لشروط (كيرزون) رئيس الوفد البريطاني في مؤتمر لوزان للصلح مع تركيا سنة 1923 ومنها: قطع كل صلة

(1) موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر للطباعة والنشر (الكويت، 1984)، ص199.

(2) دكمجيان، مصدر سابق، ص6.

(3) ينظر: طارق البشري، خريطة الفكر الإسلامي المعاصر في: نحو وعي إسلامي بالتحديات المعاصرة، محاضرات جامعة الخليج العربي (المنامة، 1988)، ص138.

لتركيا بالإسلام، إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً، تشريع دستور مدني بدلاً من الدستور القديم المرتكز على الشريعة الإسلامية[1].

يضاف إلى ذلك تزايد عمليات التغريب والعلمنة في البلدان الإسلامية وظهور نخبة مثقفة متأثرة بالفكر الغربي ترى أن الدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه وأن هناك حاجة لإدخال المفاهيم العلمانية في النظام السياسي وضرورة تغريب الأمة فكراً وشعوراً وسلوكاً[2].

إلى جانب سياسة النفي والمحاصرة والقمع من جانب الأنظمة الحاكمة. وتوظيف الدين الإسلامي توظيفاً شكلياً لتعزيز شرعيتها مع غياب كل فرص التعبير والتغيير وتفاقم الأزمة الاقتصادية والاستمرار بإرهاب واضطهاد الإسلاميين وتعريضهم لأصناف التعذيب مما جعلهم يعتقدون بأن عدوهم الأول ليس الغرب والإمبريالية والصهيونية فحسب، وإنما الأنظمة الحاكمة في الداخل أيضاً. فجنحوا نحو العداء والتطرف[3].

وثمة من يضيف أن الأصولية الإسلامية جاءت نتيجة هزيمة العرب في مواجهة الكيان الصهيوني والتي عرفت بـ (نكسة حزيران 1967) والتي بدت وكأنها هزيمة للمشروع (القومي العربي) فأعقبها "فراغ سياسي كان مقدراً أن تملأه التيارات الإسلامية باندفاع منقطع النظير في مطالع السبعينات". وكذلك الغزو الروسي لأفغانستان عام 1979 وقيام الثورة الإيرانية عام 1979 التي شكلت عاملاً إقليمياً ودولياً مهماً في إنعاش الظاهرة الإسلامية[4]. وقد أشار إلى معظم هذه الظروف المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) بقوله: "... والآن مع استمرار

(1) للتفاصيل حول إلغاء الخلافة ينظر: جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، مكتبة العبيكات (الرياض، 2002)، ص127.

(2) ينظر: أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب المصري (القاهرة، 1979)، ص ص177 وما بعدها.

(3) أسامة عبد الرحمن، حرب الخليج في عصر الردة، رياض الريس للكتب والنشر (بيروت، 1995)، ص173.

(4)عبد الله فهد النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية (محاولة تقويمية)، مجلة المستقبل العربي، العدد (186)، السنة (8)، 1994، ص108.

البؤس في عدد من الدول العربية وتعثر التنمية وسيطرة أمريكا على السلطة السياسية في العالم ثم هناك الفشل في الانتصار على الصهيونية... إذا جمعنا كل هذه العناصر نرى أن الظروف ملائمة لكي يندفع هذا الاتجاه إلى الأقصى..."[1].

يمكن القول إنَّ هذه هي أبرز الدوافع والأحداث التي أدت إلى بروز وانتشار الحركات الأصولية الإسلامية على الساحة العربية والإسلامية بشكل عام وهذا ما ولد ردود أفعال غربية متباينة تجاه هذه الحركة.

ثالثاً: الرؤية الغربية للأصولية الإسلامية:

بعد هزيمة الأنظمة العربية في حرب حزيران 1967 مع الكيان الصهيوني وما أحدثته تلك الهزيمة من صدمة شديدة في ضمير العرب والمسلمين، شهدت المجتمعات العربية ظاهرة العودة من جديد إلى الإسلام. وقد برز ذلك بوضوح من خلال توجه أعداد كبيرة من الشباب للتمسك بشدة بمبادئ الإسلام وأصوله والعمل على تطبيقها كحالة من النضوج والوعي الفكري للرد على واقع هزيمة حزيران 1967[2].

شكل هذا المد الإسلامي والذي اكتسح مساحات واسعة من الخارطة العالمية، فزعاً حقيقاً للكثير من الدوائر الغربية والعالمية (إعلاميين، أكاديميين، وصناع قرار) بما يشكله ذلك المد من تهديد مباشر على السياسة والمصالح الغربية واستقرارها خاصةً بعد وقوع عدة أحداث في تلك المرحلة كان أبرزها حرب تشرين الأول عام 1973،وحظر النفط عن الغرب وقيام الثورة الإيرانية وأيضاً الغزو الروسي لأفغانستان في كانون الأول 1979، كل ذلك أثار ردود أفعال عنيفة لدى الحركات الإسلامية، دفعهم للمشاركة في القتال ضد الحكم الشيوعي

(1) ينظر: ياسر قطيشات، تطور علاقة الولايات المتحدة بالإسلام، مجلة أقلام، على الموقع الإلكتروني www.aklaam.com.

(2) سعد الدين إبراهيم، قياس اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (عرض للدراسة الميدانية) ضمن ندوة القومية العربية في الفكر والممارسة، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1984)، ص139.

والغزو الروسي لأفغانستان. وثمة من يضيف قيام جماعة إسلامية (سلفية)، ضمن التيار الإسلامي في المملكة العربية السعودية، باحتلال الحرم المكي والسيطرة عليه عام 1979[1].

شكلت هذه الأحداث وغيرها من التطورات حالة عدم الارتياح في الغرب فضلاً عن الشعور بالخوف مما أسموه بـ "الخطر الإسلامي" المتصاعد جعله يبدي اهتماماً أكبر بالظاهرة الإسلامية واقتضى الأمر منه دراسة هذه الظاهرة والتي أطلق عليها في الغرب بـ (الأصولية الإسلامية) لتأصيلها ووضع الأساليب المناسبة لمجابهتها فظهر عدد كبير من الدراسات التي تناولت الأصولية الإسلامية بالرصد والتحليل ومن هذه الدراسات التي كان لها تأثير كبير على صانعي القرار في الغرب، الدراسة التي أعدها (ريتشارد هارير دكمجيان) بعنوان (الإسلام في ثورة) ترجم إلى العربية بعنوان (الأصولية في العالم العربي) تناول من خلالها (91) منظمة وحركة إسلامية في الدول العربية فقط، وخرج بنتيجة مفادها أن (64) منها ظهرت في عقدي الستينات والسبعينات وأن حوالي 88% من هذه المنظمات تعد (أصولية)[2].

استخدم الغرب أساليب عديدة لمواجهة (الأصولية الإسلامية) منها: التغلغل المخابراتي في البلاد الإسلامية ودعم الأنظمة الحاكمة بكل الوسائل التي يمكنها من قمع وإرهاب الإسلاميين، بالإضافة إلى العامل الأهم وهو تنظيم الحملات الإعلامية المكثفة ضد الحركات الإسلامية ورموزها من خلال تزييف الحقائق وإلصاق تهمة الإرهاب والتطرف بها واتهام كل من يتحدث عن الإسلام كمشروع بأنه (أصولي) في محاولة لتشويه صورتها والحد من اتساعها[3].

---

(1) للتفاصيل ينظر: نيفين عبد المنعم مسعد، وعبد العاطي محمد أحمد، السياسات الخارجية للحركات الإسلامية، مركز البحوث والدراسات السياسية، (القاهرة، 2000)، ص213 وما بعدها.

(2) دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، المصدر السابق.

(3) مستقبل العالم الإسلامي، تحديات في عالم متغير، تقرير سنوي يصدر عن مجلة البيان، الرياض، 2004، ص ص59-60.

بالرغم من ذلك، وإذا أردنا أن نكون أكثر واقعية وحيادية ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار أن "الغرب" تماماً مثل الإسلاميين مكون من عناصر معقدة ومختلفة تجعل من الصعوبة بمكان اختزاله تحت عنوان واحد لأن الغرب له ثقافات ذات مرجعيات وأصول مختلفة ومتناقضة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند الحديث عن الغرب واستناداً إلى ذلك يمكن تصنيف رؤية الغرب إلى الأصولية الإسلامية إلى اتجاهين رئيسيين[1] هما:

أولاً. اتجاه أيديولوجي عدائي: تتطابق وجهة نظر أصحابه مع وجهة النظر الصهيونية ورؤيتهم للمصالح الغربية المعادية للإسلام بمعنى أن ثمة دوراً (لإسرائيل) وتأثيراً واضحاً في توجيه وتشكيل السياسة الغربية عموماً، والأمريكية بشكل خاص، تجاه الأصولية الإسلامية ويؤكد أحد الباحثين الأمريكان المعنيين بقضايا العالم الإسلامي وله منصب سياسي في الحزب الجمهوري الأمريكي وهو (توني سوليفان) هذه الحقيقة مشيراً إلى وجود منظرين صهاينة مثل (ايرسون كريستول، وكارتر باتريك، ودانيال بايبس) همهم صياغة نظريات تستدعي دعم "إسرائيل" وكان بعضهم يطالب صناع القرار الأمريكي، خلال الحرب الباردة، بضرورة تقديم هذا الدعم لأهمية إسرائيل الإستراتيجية في حماية أمريكا من الاتحاد السوفيتي. فلما انتهت الحرب الباردة وانتهت معها مبررات الدعم كان لابد لهؤلاء الصهاينة من البحث عن عدو آخر يهدد "إسرائيل" فظهر الحديث عن (الخطر الإسلامي) وضرورة دعم "إسرائيل" لمواجهة هذا الخطر[2].

---

(1) حمدي عبد العزيز، الاتجاهات الغربية نحو الحركة الإسلامية، موقع الشهاب للإعلام على الموقع: www.chihab.net

(2) تميزت السياسة الأمريكية في عقد الأربعينات باعترافها السريع بالكيان الصهيوني بعد الإعلان الرسمي عن قيامه واستمر هذا الدعم حتى يومنا هذا وثمة من يؤكد على البعد الديني للسياسة الأمريكية الخارجية المبنية على خلفية توراتية، والتي تنظر الى قيام "إسرائيل" باعتبارها الخطوة السابقة على ظهور المسيح عيسى (عليه السلام) للتفاصيل ينظر: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي–الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية)، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1990).

وقد تبنى مفكرون غربيون سياسات موجهة ضد الإسلام والمسلمين فشكلت دراساتهم وكتاباتهم محاور تثقيفية للمؤسسات الرسمية الغربية. فيرجع (برنارد لويس)،وهو مؤرخ ومفكر صهيوني ومنظر للسياسة الأمريكية، موقف المسلمين المعادي لإسرائيل لكون أن "المسلمين يكونون توجهات متعصبة لا تمكنهم من قبول الحداثة ولا تؤهلهم للتعايش السلمي مع غيرهم. وبذلك فإن ثورتهم ضد الغرب أو عداءهم لإسرائيل ما هما إلا تعبير عن الرغبة في العودة إلى القرون الإسلامية الأولى التي شهدت اضطهاد الأقليات الأخرى" لذلك يرى لويس، شأنه شأن معظم الكتاب الغربيين الآخرين، أن المسلمين خطر عظيم على الإنسانية مثل خطر ستالين وهتلر وأن "تنامي الإسلام ودوائره المرعبة أمر خطير لا يمكن السكوت عنه"[1].

مع تصاعد المد الإسلامي تصاعد الموقف الغربي المعادي للإسلام والمسلمين فكتب الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون)، وهو يعد مفكر استراتيجي، كتابه، الموسوم "الفرصة السانحة" في ثمانينات القرن العشرين أشار فيه بوضوح أن العدو يتمثل بالإسلام والذي أسماه (الأصولية الإسلامية) التي تسعى إلى "استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة وتطبيق الشريعة الإسلامية" فطالب بضرورة تشكيل جبهة موحدة من أمريكا وأوربا والاتحاد السوفيتي لمواجهة ما أسماه بـ "الخطر الدائم بسياسة واحدة"[2].

وفي السياق ذاته يصرح الكاردينال (بول بوبار) مساعد بابا الفاتيكان السابق، في لقاء له مع إحدى الصحف الغربية، قائلاً: "... إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوربا وللغرب عموماً وأن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكي يلاحظ ذلك"[3].

---

(1) ينظر: عبد الله يوسف سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (أبو ظبي، 2001)، ص29.

(2) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة أحمد صدقي مراد، دار الهلال (القاهرة، 1992)، ص135 وما بعدها.

(3) هاتيس دينز فينتر، هل يشكل الإسلام السياسي خطراً على أوربا، ترجمة صبيحة مشورب، مجلة النهج، بيروت، العدد (40)، صيف 1995، ص ص236-237.

وهكذا شنت الدوائر الغربية حملة إعلامية شرسة ضد الإسلام أو ما سمي بـ (الأصولية الإسلامية) من خلال وصفها بصفات سلبية،يأتي في مقدمتها صفة (الإرهاب) فيؤكد (ريموند هـ. هامدن) بأنَّ "الإسلاميين هم إرهابيون ليس لأن الإرهاب يحمل بندقية أو مسدساً ولكنه يحمل أفكاراً مضادة للمدنية الغربية". أما (صاموئيل هانتجتون) فيرى أن الخطر يتمثل في الديانة الإسلامية أيضاً وليس فقط في المسلمين حيث يقول: "... ليس صحيحاً أن الإسلام لا يشكل خطراً على الغرب وأن الإسلاميين فقط هم الخطر ذلك أن تاريخ الإسلام خلال أربعة عشر قرناً يؤكد أنه خطر على أية حضارة واجهها ولاسيما المسيحية"[1].

وفي عهد الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريجان) أصبحت "الأسلمة" عدواً لا يقل خطراً عن الاتحاد السوفيتي وسمي الإسلام بـ "إمبراطورية الشرق"[2].

وقد حرض الكاتب البريطاني (بيرغرين دورستون) في دراسته عن الأصولية الإسلامية الحكومات الغربية على التعامل معها بحزم. قائلاً: "... إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الإسلامية في دول الشرق الأوسط لن يفيدنا بشيء وإذا لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعنف عسكري يفوق عنفها الديني فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين يجذبه على نفسه إذا استمر تهاوننا مع المسلمين المتطرفين"[3].

ثمة طوائف وفرق دينية كبيرة ومنتشرة في أرجاء العالم ينطبق عليها مفهوم (الأصولية) سواءً في الديانة المسيحية أو اليهودية وحتى طائفة (السيخ) في الهند برز بينهم أصوليون متطرفون وكذلك الحال بالنسبة للقومية (السينهالية – البوذية) في سيرلانكا التي تعبر عن الأصولية المحلية[4]. يمكن القول إذن إنَّ ظاهرة

(1) عمر سالم سعد الله العبيدي، إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، الجامعة الإسلامية، 2007، ص423.

(2) قطيشات، مصدر سابق.

(3) انظر: جعفر الموسوي، الصحوة الإسلامية في الدراسات الغربية، شبكة العراق الثقافية، على الموقع: www.iraqcenter.net

(4) كارلسون، الإسلام وأوربا، مصدر سابق، ص53.

الأصولية ليست مقتصرة على الإسلام فحسب لكن الدوائر الغربية أصرت على أن تجعلها رديفاً للإسلام فقط دون غيره لاعتبارات معينة. وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول أحد السياسيين الغربيين: "... احتكرنا نحن في الغرب حق تحديد من ينتمي إلى الأصوليين ومن لا ينتمي بدون معايير واضحة فخلال فترة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان نظر الغرب إلى مجموعات "المجاهدين" التي قاومت الاحتلال كمناضلين في سبيل الحرية لكن هذه الصورة الزاهية انقلبت من النقيض إلى النقيض بين ليلة وضحاها بعد أن أنسحب الجيش السوفيتي من أفغانستان فتوقفت فجأة شحنات السلاح عنهم وأصبح مناضلو الحرية بالأمس مجرد أصوليين[1].

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 توجه العالم بأسره نحو نظام أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي وجدت الظرف مناسباً لتطويق نشاط وقوة الجماعات الإسلامية التي تهدد مصالحها في أي مكان بالعالم. وهكذا حلَّ الإسلام محل الخطر الشيوعي وأصبح الإسلام هو العدو الأول في المواجهة مع الغرب[2]. فتوالت الدراسات الغربية التي أخذت تحلل وتنظر لطبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب فظهرت نظرية (صدام الحضارات)[3] لصاحبها (صاموئيل هانتجتون)، أكدت هذه النظرية التي نشرها في مقالات عام 1993 في إحدى المجلات الأمريكية. ثم صدرت في كتاب يحمل الاسم ذاته، بأن النزاع ضروري بين الحضارات وأن الإسلام أحد أطراف هذا النزاع. وأيضاً ظهرت نظرية (أحادية التاريخ ونهايته) للمفكر الياباني الأصل الأمريكي الجنسية (فوكوياما)، التي هدفت إلى تسويق مفهوم الديمقراطية الغربية بوصفها النموذج الأمثل للحكم. وغيرها من الدراسات والأفكار التي اتخذت من الإسلام والمسلمين هدفاً لحملاتها

(1) المصدر نفسه.

(2) نجم، المصدر السابق: 95. وينظر: علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1983: 294.

(3) صاموئيل هانتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب (د.م، 1998).

الدعائية المعادية كخطاب "تهديد الجنوب" بمعنى التهديد الإسلامي للغرب كما وضعت الاستراتيجيات والوسائل الفاعلة لمواجهة الإسلاميين وإزالة تهديدهم[1].

وفي تصريح أدلى به لإحدى المجلات الألمانية أكد (ويلي كلاس) أحد قادة حلف شمال الأطلسي بأن "الأصولية الإسلامية تشكل تهديداً للغرب بالقدر الذي كانت تشكله الشيوعية"[2] لذلك انطلقت الدعوات في الغرب لتؤكد على ضرورة مواجهة الأصولية الإسلامية. ففي محاضرة ألقاها عام 1991 القائد الأعلى السابق لحلف الناتو (جون كالفان) أشار بوضوح أن المواجهة القادمة ستكون مع الإسلام حيث قال: "عرف هذا القرن الذي يشرف على الأفول أطول مواجهة بين الغرب والإسلام طالت أكثر من ألف سنة امتدت من الحروب الصليبية إلى العصر الحديث. وبعد أن أنهى الغرب الحرب الباردة هاهو الصراع يعود بالنسبة له إلى محوره الرئيسي ألا وهو المجابهة مع الإسلام". واتفق معه وزير خارجية إيطاليا (جيفاني دي ميلكيس) الذي دعا إلى تقوية حلف الناتو حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وذلك لمواجهة الخطر المستقبلي وهو الإسلام"[3].

وتأكيداً لذلك صرحت هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج "عالم الظهيرة" بما نصهُ "أن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصباً لمراقبة إمبراطورية الشر –يعني الاتحاد السوفيتي– سيتجه لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ووضع العقبات والعراقيل أمامها"[4].

ثمة حقيقة واضحة وهي أن الغرب عموماً، والولايات المتحدة خاصة، يدعمون الأنظمة الاستبدادية في العالم الإسلامي لتحول دون قيام دولة إسلامية مستقلة تحكم بمبادئ الإسلام وأصوله لأنهم يدركون جيداً أن قيام هذه الدولة سيعرض هيمنة الغرب ونفوذه وتسلطه لخطر شديد. لذلك يمكن القول إنَّ عداء

(1) محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الأمريكي (نموذج أطروحة صدام الحضارات)، مجلة المستقبل العربي، العدد (236)، 1998، ص ص59 وما بعدها.

(2) قطيشات، مصدر سابق.

(3) العبيدي، إشكالية الموقف الغربي، مصدر سابق، ص ص422–426.

(4) الشيخ سفر الحوالي، كشف الغمة عن علماء الأمة على الموقع: www.books.bdr1330.net

الغرب للأصولية الإسلامية هو عداء للإسلام. وهذا يفسر لنا اشتداد الهجمة على الإسلام والمسلمين في كتابات سياسيين ومفكرين ورجال دين غربيين. فيحذر القس (لورانس بروان) من اتحاد المسلمين قائلاً: "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً.. أما إذا أُبقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير" أما أرنولد توينبي فيحذر قائلاً: "... إن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ"[1].

وحتى الديمقراطية التي يسعى الغرب إلى نشرها في أنحاء العالم وضحى من أجلها الكثير من أمواله وأبنائه، نراه يتحفظ على هذه الفكرة عندما يتعلق الأمر بالجماعات الإسلامية لكي لا يتفاجئ بوصول إسلاميين إلى السلطة كما تفاجأ بهم في الثورة الإيرانية أو ما أفرزته نتائج الانتخابات في الجزائر(فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ). أو تركيا(صعود حزب العدالة والتنمية إلى الحكم). فحذرت المؤسسات والمراكز البحثية الغربية صناع القرار السياسي في الغرب من وصول الإسلاميين إلى السلطة عن طريق الديمقراطية. يقول المستشرق الأمريكي والخبير في الشؤون الباكستانية(ويك سميث): "إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها"[2].

كما نشرت صحيفة (الفايتنشال تايميز) تعليقاً جاء فيه: "إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوربا ودول العالم الثالث فإنه يجب عليها ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي لأنها بذلك تدفع –دون أن تدري– بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة في ذلك العالم"[3].

في ضوء ما تقدم ذكره، يمكن القول إنَّ التحدي الديني والفكري الذي شكلتهُ الأصولية الإسلامية ما زال مستحوذاً على فكر الغربيين وسلوكهم وتحول الإسلام والمسلمين بنظرهم إلى "خطر حقيقي" أكثر من أي وقت مضى. وثمة من

(1) نصر بن محمد الصنقري، الإسلام والغرب شقاق أم وفاق، بحث منشور على الموقع: www.saaid.net

(2) المصدر نفسه.

(3) محمد، مؤسسات الاستشراق، مصدر سابق، ص ص36–37.

يؤكد على أن العداء الغربي للإسلام والمسلمين يرجع إلى حقبة الحروب الصليبية. ويؤكد هذه الحقيقة عدد من رموز الفكر الغربي وقادته فيقول المستشرق (جير نوت روتر) بأن "هذه الصورة النمطية الموروثة من العصور الوسطى تعود اليوم عند الغربيين كموضة فاعلة في خلق نظرية العدو الوهمي الجديد وبأن القرون الوسطى صورت الإسلام أنه الوليد الشهواني للشيطان"[1].

وبعد تفجيرات واشنطن ونيويورك في 11 سبتمبر/ أيلول 2001 ألقى الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش الابن) خطاباً صرح من خلاله بهذه الحقيقة عندما قال بصريح العبارة: "إنها حربٌ صليبية"[2].

ثانياً.اتجاه تأصيلي معتدل: ويضم مفكرين ومستشرقين وأكاديميين غربيين درسوا الإسلام والحركات الإسلامية دراسة منهجية واقعية. ويرى هؤلاء ضرورة أتباع سياسة غربية متفهمة لمشاكل العالم الإسلامي. ويحملون في الوقت ذاته السياسة الغربية مسؤولية تنامي العنف والتطرف في العالم الإسلامي. وعليه فقد رفض أغلب هؤلاء إطلاق مصطلح (الأصولية) بمعناه الغربي المحمل بالدلالات السلبية على التنظيمات الإسلامية. وكذلك رفضوا وصف تلك التنظيمات بالتقليد والجمود الأصولي بل أشاروا بدورها الإحيائي وسعيها إلى التغيير والتجديد وعبروا بصدق وموضوعية عن حقيقة الإسلام والمسلمين. فهذا المستشرق الألماني (ستيفان فيلد) يرفض المساواة بين الأصولية بمعناها الغربي وبين الإسلام ويرى أنها "ليست ظاهرة إسلامية فقط أنها أيضا ظاهرة مسيحية ويهودية وهي ليست حكراً على منطقة محددة... وعلينا أن نتحاشى كلياً الربط بين الدين الإسلامي وبين أفراد وزعماء. ذلك أن الإسلام أكثر شمولية من أن نحصره في أي شخص

(1) ينظر: رسول محمد رسول، الغرب والإسلام رؤية في الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة الكلمة، بيروت، العدد (30)، شتاء 2001، ص102.

(2) العبيدي، إشكالية الموقف الغربي، مصدر سابق، ص431.

أو أي مفكر... لذا يتحتم علينا أن نخرج الإسلام من الدوائر الضيقة التي يحصره فيها البعض.."[1].

أما المستشرق الفرنسي(جاك بيرك) فيرفض أصلاً إطلاق (الأصولية) على الحركات الإسلامية فيقول: "أنا أرفض تعبير "الأصولية" لأنه آت من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية، هناك مسلمون (العامة) وهناك الإسلاميون الذين يشددون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشاكل الحياة اليومية وقدرته على بناء دولة ومؤسسات" ومع هذا الموقف يتفق الكاتب الأمريكي (جون ايسبو سيتو) فيقول: "من الخطأ اعتبار الإسلام معادلاً للأصولية واعتبار الأصولية مرادفة للتطرف والإرهاب". كما دعى المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) إلى ضرورة التمييز بين الأصولية الإسلامية وغيرها حيث يقول: "إنَّ الأصولية الإسلامية متميزة عن الأصوليات الأخرى وخاصة المسيحية بسبب تميز الإسلام. فليس في المسيحية دولة أما الإسلام فالأمر فيه مختلف"[2].

ويؤكد المنتمون إلى هذا الاتجاه على المعاني السامية التي يحملها الإسلام وأن الحركات الإسلامية لا تمثل أي تهديد للغرب كما يدعي ذلك كثير من المستشرقين والمفكرين الغربيين. ويطرح (جون إسبوز يتو) طريقتين لفهم الإسلام الأولى سهلة والأخرى صعبة. السهلة ترى في الإسلام والأحياء الإسلامي تهديد وخطر على الغرب. والصعبة هي الصعود خلف الأنماط والقوالب الجاهزة التي تساوي بين الإسلام والإرهاب[3].

ورداً على نظرية (صراع الحضارات) يجد الكاتب والسياسي الأمريكي (توني سوليفان) أن صاحب هذه النظرية يرى الإسلام خطراً على الغرب. لا لأنه

(1) محمد عمارة، الصحوة الإسلامية في عيون غربية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، 2004)، ص18.

(2) للتفاصيل ينظر: المصدر نفسه، ص ص7-13.

(3) عبد العزيز، الاتجاهات الغربية، مصدر سابق.

يفهم الإسلام ولكن لأنه يريد إقناع أمريكا بأن عليها الدفاع عن "إسرائيل" من خلال مواجهة الأصولية الإسلامية[1].

مشكلة التعرف على الإسلام وفهمه بشكل واضح جعل الإعلامي البريطاني (روجر هاردي) يعد برنامجاً إذاعياً في عدة حلقات بعنوان (الإسلام: الإيمان والقوة) أذاعته الـ (BBC) بأكثر من لغة. أشار فيه إلى أن الكثير من السياسيين الغربيين لا يملكون سوى خبرة متواضعة بالقوى الاجتماعية الفاعلة في العالم الإسلامي فزياراتهم الرسمية إلى المنطقة تقتصر في الغالب على الالتقاء بالنخبة الحاكمة دون الحصول على فرصة التعرف على أفكار التيار الإسلامي والالتقاء الشخصي برموزه وبدلاً من ذلك فإن التعرف على أفكار التيار يتم من خلال الإطلاع على تقارير المخابرات ومراكز التفكير (Think-Tank). وربما من وسائل الإعلام الغربية وهي في مجملها مصادر متحيزة وقاصرة[2] ويعترض المستشرق الألماني (فيشر) على الرؤية المتحيزة التي يحملها بعض الغربيين عن الإسلام وذلك لأن "الحضارة العربية الإسلامية قدمت الشيء الكثير لأوربا والعالم منذ القرون الوسطى. وسعت جاهدة إلى نشر الفكر العلمي الحر ومبادئ العدالة والتسامح".

أما عن أسباب ظهور الأصولية الإسلامية فيراها المستشرق الانكليزي (روبن اوستل) بأنها ثمرة لغيبة العدالة الاجتماعية وأزمة الهوية. وسقوط الحلول ذات النماذج الغربية. والثقة في الحل الإسلامي في حين يفسرها المستشرق (فريد هاليداي) بأنها الرد السياسي والاجتماعي على المشكلات التي صنعها التحديث الغربي الذي فقد مصداقيته وهي البديل للنظم اليمينية واليسارية سيئة السمعة[3].

وفيما يتعلق بالدعم الغربي –الأمريكي بشكل خاص– للكيان الصهيوني والذي كان أحد أهم عوامل بروز الأصولية الإسلامية وامتعاض المسلمين من

(1) هشام العوضي، موقف الغرب من الإسلاميين من خلال الإعلام والأكاديميين وصناع القرار، دار ابن حزم (بيروت، 1997)، ص52.

(2) المصدر نفسه، ص ص55–56.

(3) للتفاصيل ينظر: عمارة الصحوة الإسلامية، مصدر سابق، ص ص26–27.

السياسة الغربية فقد حملت الباحثة (سوزان نيكول) مساعدة المؤرخ اليهودي المعادي للصهيونية الدكتور (الفريد ليلينشال)[1] الغرب مسؤولية تردي العلاقات مع المسلمين نتيجة مواقفه المتحيزة فكتبت مقالة نشرتها على شبكة الانترنيت بتاريخ 2007/7/13 قالت فيه: "الأمريكيون يساعدون بلادهم ضد الإرهاب لو عرفوا الجواب الحقيقي عن السؤال (لماذا يكرهوننا ؟) إنَّ العرب والمسلمين يقولون للغرب باستمرار السبب الحقيقي. إلا أن الغرب لا يسمع يجب عليها الاعتراف بتحيزنا على امتداد نصف قرن ضد العرب والشعوب المسلمة الأخرى لقد أوجدنا سبب عدائهم لنا فنحن وليسوا هم الذين بدأنا صراع الحضارات المريع الذي سنواجهه في الجيل القادم أو أكثر"[2].

الخاتمــة:

- مما سبق ذكره يمكن القول إنَّ ثمة إشكالية وتناقضاً حول مفهوم الأصولية في الفكر المسيحي الغربي، الذي يدل على التعصب والتطرف والعنف. والفكر الإسلامي الذي يعني شيئاً إيجابياً سعت الدوائر الغربية إلى إسقاط المفهوم الغربي للأصولية بكل سلبياته التي رسخت في أذهان الغربيين على الظاهرة الإسلامية التي انتشرت في العقود الأخيرة بهدف تشويه صورة الصحوة الإسلامية والعاملين فيها من خلال التذكير بالتعصب والتطرف الذي اتسمت به الأصولية الغربية واتهامهم كل من يتحدث عن الإسلام كمشروع بأنه (أصولي) وكذلك الربط بين الظاهرة الإسلامية والإرهاب.
- ثمة تأثير واضح للعامل التاريخي- الديني للغرب في تعامله مع العالم الإسلامي كما يقول المفكر الفرنسي (ريجيس دوبري): "إنَّ العقل السياسي الغربي كان يستبطن دائماً مجالاً دينياً والسياسة في الغرب هي وجه من وجوه الفعل الديني فالغرب يعتمد في كثير من مواقفه مع العالم الإسلامي على

(1) مؤرخ وصحفي ولد في نيويورك عام 1913. كتب عام 1949 مقالاً بعنوان "علم إسرائيل ليس علمي". أثار ردود فعل واسعة في الأوساط اليهودية في أمريكا بسبب مواقفه المناهضة للحركة الصهيونية.

(2) ينظر المقال على الموقع: www.isesco.org

مخزون تاريخي– ديني يبرز بشكل واضح خلال الأزمات وهذا ما حدث عندما صرح الرئيس الأمريكي (بوش) على أعقاب أحداث 11 أيلول 2001 عندما قال: "This is a war Crusade" إذن ما زال ثمة استعداد نفسي لدى الغرب لتوجيه الاتهامات للإسلام والمسلمين وتبني شعار "الإسلام عدو بديل" مما يعرض كل الجهود التي بذلت في السنوات الأخيرة لنشر ما يسمى بـ (حوار الحضارات، وقيم التسامح وقبول الآخر، والتعددية الثقافية) لأن تبدو في ظل موجة العداء الغربي هشة وليس لها قيمة ومشكوك فيها.

- أيضاً مما سبق ذكره نجد الحكومات الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص أنها لم تأخذ الأسباب والمبررات التي أدت إلى ظهور (الأصولية الإسلامية) بقدر ما اعتمدت على مقياس قوتها المادية في وقف خطرها من أجل الحفاظ على مصالحها في المنطقة والاستمرار في دعمها للكيان الصهيوني. هذه السياسة المزدوجة للغرب والكيل بمكيالين في تعامله مع قضايا العالم الإسلامي حولت العمليات الجهادية في فلسطين والعراق وغيرها من الدول الإسلامية إلى عمليات إرهابية. في حين أصبح الاحتلال وعمليات الإبادة الجماعية والتهجير أعمالاً مشروعة في ظل النظام الدولي الجديد مما نتج عنه زيادة نقمة المسلمين على الغرب عموماً والولايات المتحدة خاصة.
- تقتضي الأمانة التاريخية التنويه إلى وجود مستشرقين وأكاديميين ومفكرين غربيين وظفوا أقلامهم وفكرهم لإنصاف الإسلام والمسلمين واجتهدوا في العمل على تغيير الصورة القاتمة التي رسمها زيف الإعلام الغربي وغير المنصفين من السياسيين والكتاب الغربيين عن الإسلام والمسلمين. وعليه لا يمكننا الإقرار بوجود رؤية غربية واحدة للأصولية الإسلامية بل يخضع ذلك لاختلاف ثقافات ومرجعيات وارتباطات من يتحدثون عن الإسلام والمسلمين من الغربيين.

Islamic Fundamentalism in Current Western Thought: "A Historical Study"

Dr. Hashim A. Al-Ta'ee*

Abstract

Islamic fundamentalism is one of the significant subjects in the area and Islamic world. This topic represents a chief heading for detailed studies written by western writers. In these writings, the writers shed light on the eye-catching growing Islamic revival. It could be say that what have been written and what are being written in the west about the Islam and Islamists were not coming out of the scientific research but rather in congruity with intellectual starting points and ideological dispositions. The present study investigate the western stand towards what so-called (Islamic Fundamentalism). The study falls into two parts: The first deals with the historical reviews of the relation between Islam and the west. The second part, on the other hand, deals with describing the fundamentalism in the history of Islam and Christianity. In addition to mentioning the motives behind fundamentalism, the third part focuses on the western stand towards the Islamic fundamentalism. This is subdivided into two trends: The first is against the Islamic fundamentalism. The second adopts a mature thinking for presenting a western policy understanding the reasons and motives behind this fundamentalism in order to arrive at an agreement between west and the Islamic world.

* Dept. of History/ College of Arts/University of Mosul.